

٥ - باب: في المراقبة

قَالَ اللهُ تَعَالَى^(١): ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ .
 وَقَالَ اللهُ تَعَالَى^(٢): ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ .
 وَقَالَ اللهُ تَعَالَى^(٣): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ .

باب المراقبة

هو أحد مقامي الإحسان المشار إليه في حديث جبريل الآتي بقوله: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وفي الحديث عن عبادة بن الصامت: قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان» وما أحسن ما قيل:
 كان رقيباً منك يرعى خواطري وأخر يرعى ناظري وجناني
 وقال ابن عطاء في الحكم: إلهي عميت عين لا تراك عليها رقيباً.

(قال الله تعالى:) مخاطباً لنبية ﷺ (الذي يراك حين تقوم) إلى الصلاة (وتقلبك) في أركان الصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً (في الساجدين) أي المصلين. وقال الواسطي: في أصلاب الأنبياء والمرسلين. وقيل: تقلب شرك في القرية، فإن السجود محل القرية، والاقتراب. وقيل في الآية إشارة إلى أن من لزم الإقبال عليه بنحو الصلاة، سارعت إليه العناية به، ومن خصوصياته ﷺ أنه كان يرى من خلفه، والآية محتملة لإفادة هذه الخصوصية.

(وقال تعالى: وهو معكم) بعلمه (أينما كنتم) لا يحجبه مكان، ولا يخفى عليه شأن قال تعالى: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾^(٤).

(وقال تعالى: إن الله لا يخفى عليه شيء) كائن (في الأرض ولا في السماء) لعلمه بما يقع في العالم من كلي، وجزئي. وخصهما بالذكر لأن الحس لا يتجاوزهما، وقيل فيه: لا يخفى عليه شيء، فطالعوا همومكم أن تكون خالية عن الأهواء، والشبه وطلعوا أسراركم

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٢١٨، ٢١٩.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥.

(٤) سورة الملوك، الآيتان: ١٣ و١٤.

وَقَالَ تَعَالَى ^(١): ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ^(٢): ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ .

وَالآيَاتُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ .

وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ :

٦٠ - فَأَلَّوْا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ
.....

لا يكون فيها شيء غير الحق والتعلق به فإنه لا يخفى عليه شيء وقال جعفر في قوله تعالى :
﴿إن الله لا يخفى عليه شيء﴾ ^(٣) لا : يطلعن عليك فيرى في قلبك سواه فيمقتك .

(وقال تعالى: إن ربك لبالمرصاد) يرصد أعمال العباد لا يفوته منها شيء .

(وقال تعالى: يعلم) أي: الله (خائنة الأعين) بمسارتها النظر إلى محرم (وما تخفي الصدور) أي: القلوب قيل: فيه إشارة إلى التذكير بصغائر الذنوب، فكيف بالكبائر، وأنه تعالى يعلم البواطن أي: ومن علم ذلك، علم الظواهر بالقياس العادي .

(والآيات في الباب كثيرة معلومة) كقوله تعالى: ﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ ^(٤) (وأما الأحاديث) جمع أحادوثه، بمعنى الحديث، ويجوز أن يكون جمع حديث على غير قياس كما تقدم أي الأحاديث النبوية .

٦٠ - (فالأول) منها (عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم) بينما كيينا ظرفا زمان فيهما معنى المفاجأة ومعنى الشرط، ولذا استدعيا جواباً، وأصلهما بين التي هي ظرف بمعنى وسط، دخلت عليها ما الكفاة عن الجر، وأشبع أخرى فتحة النون فصارت ألفاً، والعامل فيها هنا معنى المفاجأة في قوله:

(١) سورة الفجر، الآية: ١٤ .

(٢) سورة غافر، الآية: ١٩ .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥ .

(٤) سورة يونس، الآية: ٦١ .

إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدٌ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟

(إذ طلع علينا رجل) والمعنى وقت حضورنا في أشرف مجلس فاجأنا طلوع ذلك الرجل، وقال ابن جني: عامل بينا محذوف، وطلع عامل في إذ بناء على عدم إضافتها إليه، وقال الشلوبين: عامل بينا محذوف وإذ بدل منه والجملة في محل جر بإضافة إذ إليها، وقيل: إذ مبتدأ خبره ذات يوم أي: طلوع ذلك الرجل وقع بين تلك الأحوال، وذات يوم ظرف، ويجوز أن يكون «ذات» صلة أي: نحن عنده يوماً. والإتيان بها للتوكيد، ودفع توهم أنه تجوز باليوم عن مطلق الزمان. وقوله: إذ طلع، هو مستعار من طلعت الشمس لا يذكر إلا فيما له شأن كما حققه في الكشاف في قوله تعالى: ﴿أطلع الغيب﴾^(١) (شديد بياض الثياب. شديد سواد الشعر. لا يرى) بضم التحتية بالبناء للمجهول ويفتح النون للمتكلم ومعه غيره مبني للفاعل (عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد) معناه التعجب المتضمن لدعوى كونه ملكاً، إذ لو كان غريباً، لكان عليه أثر السفر وشعته، ولو كان مدنياً لعرفوه، واستبدل به على نذب حسن الهيئة. قال بعض المحققين: طلوعه كذلك يقوي معنى قولهم: حسن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن، ولذا استحب التزين في الجمعة، والعيد وشديد صفة لرجل، وأل في المضاف إليه أغنت عن الضمير العائد منه إليه. والأصل شديد بياض ثيابه شديد سواد شعره، واختار قوله: «ولا يعرفه منا أحد» على قوله: لا نعرفه؛ لأنه أكد في تنكيره (حتى جلس إلى النبي ﷺ) قيل: يتعلق بمحذوف تقديره استأذن وأتى حتى جلس. قال العاقولي في شرح المصابيح: وفيه نظر، لأن الكلام مستقيم من دون هذا التقدير لأن معنى طلع علينا: أتانا، والاستئذان لا حاجة للملك إليه، بل معنى المفاجأة يدل على عدمه اهـ. وفيه أن الاستئذان للدنو وقد جاء التصريح به عند النسائي من حديث أبي هريرة وأبي ذر فذكر القصة إلى أن قال: السلام عليكم يا محمد. فرد عليه السلام فقال: ادنوا يا محمد قال: ادنه فما زال يقول: أدنو. مراراً ويقول: ادنه حتى وضع يديه على ركبتي النبي ﷺ. واستئذانه ليعمي أمره على القوم (فأسند ركبتيه) أي: جبريل (إلى ركبتيه) أي: إلى ركبتي النبي ﷺ زيادة في التقريب الباعث على التنبيه على أنه إنما جاء لأمر كلي (ووضع كفيه على فخذه) أي: فخذني نفسه كما هو الأدب، وهي جلسة المتعلم بين يدي المعلم، قال

(١) سورة مريم، الآية: ٧٨.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الإسلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

العاقولي: فلا معنى لقول من قال إنه وضع يديه على فخذي النبي ﷺ وإن كان شأن تقيده يقتضي ذلك وفيه أن ذلك القول جاء التصريح به عند النسائي، فله وجه وجيه، ومن ثم قال السيد معين الدين الصفوي: إنه أقوى دليلاً قال بل هو الوجه لأنه حينئذ يكون على نسق قوله ركبته إلى ركبته لأن اتكاء الركبة، والجلوس إليه ليسا من شأن الأدب المطلوب من المتعلم، فأشعرت تلك الهيئة بأنها ليست هيئة تلميذ بل هيئة معلم مهتم بشأن التعليم، ووضع الكف على الفخذين طريق المتعلمين وبينهما بوق، وإن أمكن أن يقال هذا وجه آخر لتعجب الحاضرين كما في السؤل والتصديق، وقال جدي رجوع الضمير في هذه الرواية إلى رسول الله ﷺ أولى لتتفق مع رواية النسائي اهـ. (وقال: يا محمد) ناداه باسمه مع قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾^(١) زيادة في التغريب عند افتتاح الخطاب بالمسألة، على أن الملائكة ليسوا داخلين في مثل ذلك الخطاب (أخبرني عن الإسلام) هو والإيمان لا اعتبار التلازم بين مفهوميهما شرعاً، فلا يعتبر في الخارج إيمان شرعاً بلا إسلام، ولا عكسه متحدان ما صدقا في الشرع مختلفان مفهوماً، فكل مؤمن شرعاً مسلم كذلك، وكل مسلم مؤمن، فما دل عليه حديث جبريل من اختلافهما، هو باعتبار المفهوم، إذ مفهوم الإسلام الشرعي الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية، والإيمان في الشرع التصديق بالقواعد الشرعية، على أنه قد يتوسع الشرع فيهما، فيتعمل كل واحد منهما في مكان الآخر، كإطلاق الإيمان على الأعمال الظاهرة في حديث: «الإيمان بضع وسبعون باباً أدناها إمطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله» على أحد الوجوه في ذلك، وسيأتي ما فيه في باب الدلالة على كثرة طرق الخير، وإطلاق الإسلام على التصديق القلبي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢) قال القرطبي: وهذا الإطلاق من باب التجوز، والتوسع وإذا حقق ذلك زاح كثير من الإشكال الناشئ من هذا الاستعمال (فقال رسول الله ﷺ: أن تشهد أن لا إله إلا الله) خبر لمبتدأ محذوف. أي: الإسلام أن تشهد، حذف لقرينة وجوده في السؤل، والمراد أن يقول ذلك بلسانه المتكلم من النطق فهو معتبر في الإسلام، فمن صدق بمضمونها، ولم يأت بها مع عدم مانع من النطق فليس بمسلم، ولا مؤمن، وحكى المصنف الإجماع عليه في شرح مسلم لكن حكى غيره قولاً أنه مؤمن عاص بترك النطق بها، ولا يعتبر النطق بها بالعربية على الصحيح مع التصديق القلبي

(١) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتُحُجَّ
الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ

بمضمونها، فقوله تشهد أي: تقر وتبين، وأن مخففة من الثقيلة لتقدم ما يدل على العلم
عليها، وبدليل عطفها عليها في (وأن محمداً رسول الله) ولا، في لا إله إلا الله هي النافية
للجنس نصاً ومحلها مع اسمها رفع بالابتداء واسم الله تعالى خبر لها، وعن الزمخشري:
الاسم الكريم مبتدأ والنكرة خبر على القاعدة، ثم قدم الخبر ثم أدخل النفي عليه والإيجاب
على المبتدأ، وركب لا مع الخبر. وقد بسطت الكلام على إعراب هذه الكلمة في باب
فضل الذكر من شرح الأذكار. وحكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين. قال ابن
الصلاح: وإنما أضيف إليهما الصلاة ونحوها، لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها،
وبقيامه بها يتم استلامه، وانقياده، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده، فالمقصود من ذكر
الأركان الخمسة في الحديث بيان كمال الإسلام، وتماهه فلذلك ذكر هذه الأمور مع
الشهادتين، أما أصل الإسلام فالشهادتان كافتان فيه. (وتقيم) بالنصب عطف على تشهد،
خلافاً لمن زعم رفعه وما بعده استثنافاً إيماء إلى أن الإسلام يكفي في حصوله الشهادتان
وحدهما، وتقدم أن المذكور في الحديث الإسلام الكامل (الصلاة) أي: تعدل أركانها. أو
تديم إقامتها. والصلاة: لغة الدعاء بخير. وشرعاً: أقوال وأفعال مفتحة بالتكبير مختمة
بالتسليم بشرائط مخصوصة غالباً، وأصلها «فعله» بفتحات ولامها واو، واختار بعض
المحققين أنها مأخوذة من الصلاة، عرق متصل بالظهر يفترق من عند عجب الذنب ويمتد منه
عرقان في كل روك عرق يقال لهما «الصلوان» فإذا ركع المصلي انحنى صلاه، وتحرك ومنه
سمي ثاني خيل السباق مصلياً لأنه يأتي مع صلوى السابق وعلم مما مر أنها بمعنى الدعاء
حقيقة لغوية، مجاز عرفي علاقته تشبيه الداعي في تخشعه ورغبته بالمصلي (وتؤتي الزكاة)
الواجبة من الأنواع الواجبة، هي فيها المقررة في كتب الفقه. والزكاة لغة: النماء،
والنظير. وشرعاً اسم للمخرج من ذلك (وتصوم) من الصوم. وهولغة: الإمساك. وشرعاً:
إمساك مخصوص (رمضان)^(١) صريح في عدم كراهة ذلك مطلقاً، وهو الأصح وسمي شهر
الصوم بذلك لأنه يرمض الذنوب، أي يحرقها كما جاء ذلك في خبر مرفوع (وتحج البيت)
أي: تقصده بنسك حج، أو عمرة إذ الأصح وجوبها على أنه جاء عند ابن حبان زيادة:
وتعتمر، وتغتسل من الجنابة، وأن تتم الوضوء. وقال: وتفرد بهذه الزيادة سليمان التيمي.

(١) أي أن قولنا رمضان من غير إضافة كلمة شهر غير مكروه. ع

سَيْلًا»، قَالَ صَدَقْتُ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟

والحج لغة: القصد. وشرعاً: قصد الكعبة للنسك، والبيت. علم بالغلبة على الكعبة كالنجم للثريا (إن استطعت إليه سبيلاً) صح عند الحاكم وغيره أنه ﷺ فسر المسبيل في الآية، بالسزاد والراحلة لكن ضعفه آخرون. وسبيلاً منصوب على التمييز. وإنما قيد الحج بالاستطاعة مع أن ما مر مقيد بها أيضاً، اتباعاً للنظم القرآني فإنه لم يقيد بهذا اللفظ غيره. أو إشارة إلى أن فيه من المشاق ما ليس في غيره. وأيضاً فعدم الاستطاعة في الحج يسقط وجوبه من أصله بخلافه في نحو الصلاة فإنما يسقط وجوب الأداء فقط دون أصل الوجوب (قال: جبريل (صدقت) قال عمر (فَعَجِبْنَا لَهُ) أي: منه أو لأجله (يسأله ويصدقه) إذ السؤال يدل على عدم علم السائل، والتصديق يدل على علمه، وجملة يسأله في محل الحال «تنبيه» - الإسلام له في الشرع إطلاقان: يطلق على الأعمال الظاهرة، كما في هذا الحديث وعلى الاستسلام، والانقياد، والتلازم بينه وبين الإيمان باعتبار لما صدق شرعاً إنما هو باعتبار المعنى الثاني، وأما باعتبار المعنى الأول. فالإيمان ينفك عنه إذ قد يوجد التصديق والاستسلام الباطني بدون الأعمال المشروعة، أما الإسلام بمعنى الأعمال المشروعة، فلا يمكن أن ينفك عنه الإيمان لاشرطه، لصحتها وهي لا تشترط لصحته خلافاً للمعتزلة (قال: جبريل (فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ) هو لغة: مطلق التصديق من آمن بوزن أفعال لا فاعل، وإلا لجاؤا مصدره فعلاً، وهمزته للتعدية كأن المصدق جعل الغير آمناً من تكذيبه، أو للضرورة، كأنه صار ذا أمن من أن يكذبه غيره. ويضمن معنى اعترف، وأقر فيعدى بالباء، كما في الحديث. وأدعن فيعدى باللام نحو: ﴿فَأَمِّنْ لَهُ لَوْطًا﴾^(١). وشرعاً: التصديق بالقلب فقط أي قبوله وإذعانه لما علم بالضرورة أنه من دين محمد ﷺ، وتعريفه بما ذكر هو قول جمهور الأشاعرة وعليه الماتريدية، وقيل يشترط أن ينضم لذلك إقرار اللسان، وعمل سائر الجوارح فيكفر من أخل بواحدة من هذه الثلاثة وهو مذهب الخوارج، فلا صغيرة عندهم. وقيل: يعتبر ضمها إليه على وجه التكميل لا الركنية وهو مذهب المحدثين. وقيل: تصديق بالجنان وإقرار باللسان. واشتهر عن أصحاب أبي حنيفة، وبعض محققي الأشاعرة، لأن التصديق لما اعتبر بكل منهما كان كل منهما جزءاً من مفهوم الإيمان، لكن تصديق القلب ركن لا يحتمل السقوط، وتصديق اللسان يسقط، بنحو خرس، أو إكراه، واستدل لركنيته عند القدرة بخبر: «حتى يقولوا أو يشهدوا، أن لا إله إلا الله» ورد بأنه لا يدل لخصوصية،

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢٦.

قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ
وَشَرِّهِ»

وكنية القول التي النزاع فيها، بل كما يحتملها يحتمل أنه شرط لإجراء أحكام الإسلام، وما تقدم عن المصنف من نقله اتفاق أهل السنة من الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين على أن من آمن بقلبه، ولم ينطق بلسانه مع قدرته كان مخلداً في النار، فقد اعترض بأنه لا إجماع على ذلك وبأن لكل من الأئمة الأربعة قولاً بأنه مؤمن عاص بترك التلفظ، بل الذي عليه جمهور الأشاعرة، وبعض محققي الحنفية، أن الإقرار باللسان إنما هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية فحب (قال:) ﷺ مفسراً للإيمان بذكر متعلقاته ولم يفسر لفظه، بل أعاده بقوله (أن تؤمن) لأنه كان معروفاً عندهم أنه لغة: مطلق التصديق. وشرعاً: التصديق بالأمر المعلوم من الدين بالضرورة، فمن تلك المتعلقات التي يجب الإيمان بها الإيمان (بالله) أي: بأنه تعالى واحد في ذاته وصفاته، وأفعاله لا شريك له في الألوهية، وهي استحقاق العبادة منفرد بخلق الذوات بصفاتهما، وأفعالها، وبقدم ذاته، وصفاته الذاتية^(١) وبأن ذاته لها صفات واجبة لها قديمة، وهي الحياة، والعلم، والقدرة والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وهذه الصفات ليست أعراضاً، ولا عين ذاته، ولا غيرها بناء على أن الغيرين ما ينفك أحدهما عن الآخر، والحاصل أنه يجب الإيمان بأنه تعالى متصف بكل كمال، منتزه عن كل وصف لا كمال فيه واجب الوجود لذاته، منفرد باستحقاق العبودية على العالمين (وملائكته) جمع ملك نظراً إلى أصله الذي هو ملاك مفعول من الألوكة أي: الرسالة، والتاء زيدت فيه لتأكيد معنى الجمع، أو لتأنيث الجمع، وقدم الملائكة على الكتب مراعاة للترتيب الواقع؛ لأنه تعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسل، ولا حجة فيه لتفضيلهم عليهم، وإلا للزم تفضيلهم على الكتب، ولا قائل به أي: فيجب الإيمان بأنهم عباد الله مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. والملائكة باعتبار، الأحوال والأعمال، أقسام ذكرتهم في أوائل شرح الأذكار (وكتبه) أي: بأنها كلام الله تعالى الأزلي، القديم، القائم بذاته، المنزه عن الحرف والصوت، بأنه تعالى أنزلها على بعض رسله باللفظ حادثة في ألواح، أو على لسان الملك، وبأن كل ما تضمنته حق وصدق، وأن بعض أحكامها نسخ، وبعضها لم ينسخ، قال الزمخشري وغيره: وهي مائة كتاب وأربعة كتب، خمسون

(١) في ابن حجر قال الحنفية: وأفعاله ككونه خالقاً رازقاً فإن هذا الوصف ثابت له في الأزل والأشعرية يردون ذلك إلى صفة القدرة. ش

قَالَ صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ

على شيث. وثلاثون على إدريس، وعشرة على آدم. وعشرة على إبراهيم، والتوراة والإنجيل، والزبور والفرقان، وهو مخالف في التفصيل لما تقدم^(١)، وذلك هو الذي ذكره السمرقندي وغيره (ورسله) أي: بأنه أرسلهم إلى الخلق لهدايتهم وتكميل معاشهم ومعادهم وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، فبلغوا عنه رسالته، وبينوا للمكلفين ما أمروا ببيانه، وأنه يجب احترام جميعهم، ولا يفرق بين أحد منهم في الإيمان به وأنه تعالى نزههم عن كل وصمة ونقص، فهم معصومون من الكبائر والصغائر، قبل النبوة وبعدها على المختار بل هو الصواب، وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله كم وفاء عدد الأنبياء قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، أرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً (واليوم الآخر) وهو يوم القيامة وصف بذلك لأنه لا ليل بعده، ولأنه آخر أيام الدنيا، وفي رواية: والبعث الآخر، ووصفه بالآخر، تأكيد كأمس الدابر، أي: بوجوده وما اشتمل عليه من الحساب، والميزان، والصراط والجنة والنار وغير ذلك مما نطق به الكتاب والسنة الثابتة (وتؤمن بالقدر خيره وشره) أي: أن الجميع بتقدير الله ومشيئته، وأعاد العامل ومتعلقه تنبيهاً على الاهتمام بالتصديق به لأنه موضع مزلة أقدام الضعفاء، الراكنين إلى مشاهدة ظواهر أفعال البشر، وأكدته بالإبدال منه فقال: خيره وشره وفي رواية لمسلم: وبالقدر كله؛ لأن السدل توضيح مع توكيد، لتكرير العامل. وحقيقة الإيمان بالقدر الاعتراف بأن جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، وأنها مرادة له، وأنها مكتبة للعبد. والقضاء عند الأشعرية إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال، والقدر إيجادها إياها على قدر مخصوص، وتقدير معين في ذواتها وأفعالها، أو انقضاء علمه أولاً بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال، والقدر إيجادها إياها على ما يطابق العلم. واعلم أن الإيمان بالقدر على قسمين: أحدهما: الإيمان بأنه تعالى سبق في علمه ما يفعله العباد من خير وشر وما يجازون به، وأنه كتب ذلك عنده وأمضاه^(٢)، وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه، ثانيهما: أنه تعالى خلق أفعال عباده كلها من خير وشر، وهذا القسم تنكره القدرية كلهم، والأول لا ينكره إلا غلاتهم (قال: صدقت قال: فأخبرني عن الإحسان) قال القرطبي: أل فيه للعهد الذهني، وهو الذي قال فيه تعالى: ﴿هَلْ جِزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٣) ﴿وَأَحْسِنُوا!﴾ إن الله يحب المحسنين^(٤) فلما تكرر الإحسان في القرآن، وترتب عليه هذا الثواب

(١) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٩٥.

(١) أي في آخر باب الصبر. ش

(٢) وفي نسخة وأحصاه. ع

« أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ »، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟
 قَالَ: « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ

العظيم، سأل عنه جبريل ليعلمهم بعظيم ثوابه، وكمال رفعتة اهـ. وهو مصدر أحنت كذا إذا حنته، وكملة متعدياً بالهمزة وبحرف الجر، أو أحسن متعدياً بحرف الجر فقط، كأحنت إليه إذا فعلت معه ما يحسن فعله والمراد هنا الأول إذ حاصله راجع إلى اتقان العبادة بأدائها على وجهها المأمور به، مع رعاية حقوق الله تعالى، ومراقبته، واستحضار عظمته، وجلاله، ابتداء واستمراراً، وهو على قسمين؛ أحدهما: غالب عليه مشاهدة الحق كما (قال:) ﷺ الإحسان (أن تعبد الله) من «عبد» أطاع، والتعبد التمسك، والعبودية: الخضوع، والذل (كأنك تراه) قيل: أصله كأنك تراه، ويراك، فحذف الثاني لدلالة الأول عليه، وهذا من جوامع كلمه ﷺ؛ لأنه جمع فيه مع جازته بيان مراقبة العبد ربه في إتمام الخضوع، والخشوع، وغيرهما في جميع الأحوال، والإخلاص له في جميع الأعمال والحث عليهما مع بيان سببهما الحامل عليهما، والثاني: من لا ينتهي إلى تلك الحالة لكن يغلب عليه أن الحق مطلع عليه ومشاهد له وقد بينه ﷺ بقوله (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وهذا من جوامع الكلم أيضاً أي: فإن لم تكن تراه فلا تغفل فإنه يراك، وما أحسن ما قيل:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

وقوله: كأنك، مفعول مطلق، أو حال من الفاعل، ثم هذان الحالان هما ثمرتا معرفة الله تعالى وخشيته، ومن ثم عبر بها عن العمل في خبر: «الإحسان أن تخشى الله كأنك تراه» فعبر عن المصعب باسم السبب توسعاً (قال: صدقت) وأخر الإحسان عما قبله؛ لأنه غاية كمالهما، بل والمقوم لهما: إذ بعدهم يتطرق إلى الإسلام بمعنى الأعمال الظاهرة الرياء، والشرك، وإلى الإيمان، النفاق، فيظهره رياء أو خوفاً. ومن ثم قال تعالى: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن﴾^(١) «ثم اتقوا وآمنوا» «ثم اتقوا وأحسنوا» فشرطه فيهما (قال: فأخبرني عن الساعة) أي: عن زمن وجود يوم القيامة، سمي بذلك مع طول زمنه اعتباراً بأوله، فإنها تقوم بغتة، أو لسرعة حسابها، أو على العكس لطولها، أو لأنها على طولها عند الله كساعة من الساعات عندنا (قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل) بل كلانا سواء في عدم العلم بالزمن المعين، لوجودها وقيل: هذا كان أولاً، ثم أطلعه الله عليها، وأمره

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٢.

السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ!»

بكتهما، نقله السيوطي في أنموذج اللبيب عن أهل الحق، وعبر بما ذكره في الجواب، لتأكد فائدة التعميم في استواء كل سائل ومسؤول في عدم العلم بوقت وقوعها المعين، وفيه أنه ينبغي للمفتي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، قال بعض السلف: إذا أخطأ العالم لا أدري أصيبت مقاتله، «فائدة» وقع هذا السؤال والجواب بين عيسى ابن مريم وجبريل، لكن عيسى كان سائلاً، وجبريل كان مسؤولاً، أخرج الحميدي في أفراده عن الشعبي قال: سأل عيسى ابن مريم جبريل عن الساعة فانتفض بأجنته وقال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ذكره السيوطي في التوشيح (قال: فأخبرني عن أماراتها) بفتح الهمزة أي: أشراتها، وعلاماتها الدالة على اقترابها، وربما روي أمارتها (قال: أن تلد الأمة) أي: القنة. وأل فيها للماهية وكذا ما يأتي بعد، دون الاستغراق، لعدم اطراد ذلك في كل أمة (ربتها) أي: سيدتها. وفي رواية: «رَبِّهَا» أي سيدها، وفي أخرى: «بعلها» بمعنى ربها كناية إما عن كثرة التسري اللازمة، لاستيلائنا على بلاد الكفرة حتى تلد السرية بنتاً، أو ابناً لسيدها، فيكون ولدها سيدها كأبيه، فالعلامة استيلائنا على بلادهم، وكثرة الفتح والتسري، أو عن كثرة بيع المتولدات، لفساد الزمان حتى تشتري المرأة أمها وتسترقها جاهلة أنها أمها، فتكون العلامة غلبة الجهل الناشئ عنها بيع أم الولد الممنوع منه (وأن ترى الحفاة) جمع حاف بالمهمل، وهو من لا نعل برجليه (العراة) جمع عار. وهو من لا شيء على جسده. وفي رواية الحفاة أي: الخدمة وال هنا وإن احتملت الاستغراق، إلا أن العادة القطعية دالة على تخصيصه وأن كل واحد منهم لا يحصل له ذلك، فالأولى كون آل للماهية (العالة) بتخفيف اللام، جمع عائل وهو الفقير، من عال افتقر، وأعال كثرت عياله (رعاء) بكسر أوله وبالمد جمع راع، ويجمع أيضاً على رعاة بضم أوله وهاء آخره مع القصر. والرعي: الحفظ (الشاء) الغنم واحده شاة بالهاء، كشجر وشجرة. وخص مطلق الرعاء لأنهم أضعف الناس ورعاء الشاء لأنهم أضعف الرعاء ومن ثم قيل: رواية رعاء الشاء أنسب بالسياق من رعاء الإبل فإنهم أصحاب فخر وخيلاء، وليسوا عالة، ولا فقراء غالباً، ويجاب بأن فخرهم، إنما هو بالنسبة لرعاء الشاء، لا لغير الرعاء، فالقصد حاصل بذكر مطلق الرعاء ولكنه برعاء الشاء أبلغ، (يتطاولون في البنيان) وهو كناية عن إسناد الأمر لغير أهله، وصيرورة الأسافل من ضعفاء أهل البادية الغالب عليهم الفقير ملوكاً، أو كالمملوك حتى يشرئبون لانقلاب الأحوال، واتساع الدنيا عليهم بعد ضيقها، إلى تشييد المباني، وهدم

ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ

أركان الدين، بعدم العمل بأي المثاني، وفي الحديث: «من أشرط الساعة أن توضع
الأخيار، وترفع الأشرار» وفي حديث آخر مرفوعاً، وهما صحيحان: لا تقوم الساعة حتى
يكون أسعد الناس بالدنيا كعب بن كعب، أي: لثيم بن لثيم. وفي حديث آخر: «إذا وسد
الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة» ولبعضهم:

إذا عزفي الدنيا الأذلاء واكتت أعزتها ذلاً وساد مسودها
هناك فلا جادت سماء بصوبها ولا أمرعت أرض ولا اخضر عودها

واقصر في الجواب على أمارتين مع شمول السؤال الأكثر، ومع أن لها أمارات أخر
صغاراً وعظاماً، كالرجال، والمهدي، وعيسى ﷺ، وغير ذلك مما ألف في استقصائه كتب
مدونة تحذير للحاضرين. وغيرهم منهما لاقتضاء الحال ذلك، ولعل منهم من تعاطى شيئاً
منهما، فزجره عنه، وإن قلنا: إن جعل الشيء أمانة للساعة لا يدل على ذمه؛ لأن معناه كما
هو ظاهر، أنه لا يستلزم ذلك، وإلا فالغالب أنه ذم (ثم انطلق) أي: جبريل (فلبثت) زماناً
(ملياً) بتشديد الياء أي: كثيراً، من الملونين؛ الليل، والنهار. أما المهموز فمن الملاءة أي:
اليسار. وهو هكذا بناء المتكلم، وفي نسخة من مسلم فلبث بحذفها، يعني أقام النبي ﷺ
بعد انصرافه حيناً، وعلى الأول فهو إخبار من عمر عن نفسه. وجاء في رواية أبي داود،
والترمذي وغيرهما: «فلبثت ثلاثاً» وظاهره، أنه ثلاث ليال، وفي رواية أبي عوانة: «فلبثنا
ليالي فلقيني رسول الله ﷺ بعد ثلاث» ولا بن حبان: «بعد ثلاثة» ولا بن منده: «بعد ثلاثة
أيام» وقد ينافيه خبر البخاري: «فأدبر الرجل فقال النبي ﷺ: ردوه فأخذوا يردونه فلم يجدوا
شيئاً فقال هذا جبريل» وأجيب بأنه يحتمل أن عمر لم يحضر قوله هذا، بل كان قد قام فأخبر
به بعد ثلاث، (ثم قال: يا عمر أتدري من السائل) فيه ندب تنبيه العالم تلامذته والكبير من
دونهم على فوائد العلم وغرائب الوقائع، طلباً لضعفهم وتيقظهم (قلت: الله ورسوله أعلم) فيه
ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من حسن الأدب معه ﷺ برد العلم إلى الله وإليه، وأنه
ينبغي لمن سئل عما لا يعلم أن يقول ذلك كما تقدمت الإشارة إليه (قال: فإنه جبريل) اسم
أعجمي سرياني فيه لغات عديدة بينها ونظمتها وأوردتها في أوائل شرح الأذكار، قيل معناه
عبد الله. وقيل عبد الرحمن، والفاء في قوله: «فإنه» جواب شرط مقدر، أي: أما إنكم حيث
لم تسألوا عن الرجل وفوضتم الأمر إلى الله ورسوله، فإنه جبريل، على تأويل الإخبار أي:

دِينَكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ

تفويضكم هو سبب الإخبار، لكم بأنه جبريل، وقرينة الشرط قوله: الله ورسوله أعلم. وظاهر رواية البخاري أنه لم يعرفه إلا في آخر الأمر، وورد: «ما جاءني في صورة لم أعرفه إلا في هذه المرة» وفي رواية ابن حبان: «والذي نفسي بيده ما شبه علي منذ أتاني قبل مرته هذه وما عرفته حتى ولي» ورواه كذلك ابن خزيمة، وأما رواية النسائي: «وإنه لجبريل نزل في صورة دحية الكلبي» فوهم من الراوي، وشذوذ مخالف للمحفوظ في باقي الروايات، فإن دحية معروف عندهم وقال عمر: «ما يعرفه منا أحد» وفيه دليل على أن الله مكن الملك أن يتمثل فيما شاء من الصور البشرية، وقد كان يتمثل جبريل للنبي ﷺ في صورة دحية، ولم يره ﷺ على صورته الأصلية غير مرتين كما صح الحديث بذلك (أتاكم يعلمكم) بسبب سؤاله، وإسناد التعليم إليه مجاز، إذ المعلم بالحقيقة النبي ﷺ (دينكم) أي: قواعده، أو كليات دينكم. وفي رواية ابن حبان: «يعلمكم أمر دينكم فخذوا عنه» فيه أن الدين مجموع الإسلام، والإيمان، والإحسان، ولا ينافيه أن الإسلام وحده يسمى ديناً كما في آية: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١) لأنه كما يطلق على هذا المجموع، يطلق على هذا الفرد بالاشتراك، أو بالحقيقة والمجاز، أو التواطؤ، أو غير ذلك، وحكمة مجيء جبريل لتعليمهم أنهم كانوا أكثروا السؤال على النبي ﷺ، فنهاهم كراهية لما قد يقع من سؤال تعنت، أو تجهيل، فألحوا، فزجرهم، فخافوا، وأحجموا، واستلموا امتثالاً، فلما صدقوا في ذلك أرسل لهم من يكفيهم المهمات، ومن ثم قال لهم ﷺ: هذا جبريل أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا (رواه مسلم) فهو من إفراده عن البخاري فلم يخرج البخاري عن عمر فيه شيئاً ورواه الأربعة إلا الترمذي، وأخرجه عن أبي هريرة. وهو حديث متفق على عظم موقعه، وكثرة أحكامه. قال القاضي عياض: وقد اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه، ومتشعبة منه. قال القرطبي: فيصح هذا الحديث أن يقال فيه إنه أم السنة، لما تضمنه من جمل علم السنة، كما سميت الفاتحة أم القرآن لما تضمنته من جمل معاني القرآن اهـ. ومن ثم قيل: لو لم يكن في السنة كلها غير هذا الحديث لكان وافياً بأحكام الشريعة، لاشتماله على جملها مطابقة، وعلى تفصيلها تضمناً، فهو جامع لها علماً ومعرفة، وأدباً ولطفاً، ومرجعه من القرآن والسنة كل آية تضمن ذكر الإسلام أو

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

وَمَعْنَى: «تَلِدُ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا»: أَي سَيِّدَتَهَا. وَمَعْنَاهُ: أَنْ تَكْثُرَ السَّرَارِي حَتَّى تَلِدَ الْأُمَّةُ السَّرِيَّةَ بِنْتًا لِسَيِّدِهَا وَبِنْتُ السَّيِّدِ فِي مَعْنَى السَّيِّدِ. وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. وَ«الْعَالَةُ»: الْفُقَرَاءُ. وَقَوْلُهُ «مَلِيًّا» أَي زَمَانًا طَوِيلًا، وَكَانَ ذَلِكَ ثَلَاثًا^(١).

٦١ - الثَّانِي عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ

الإيمان، أو الإحسان، أو الإخلاص، أو المراقبة، أو نحو ذلك (ومعنى أن تلد الأمة ربتها) بالمشاة الفوقية (أي سيدتها ومعناه) أعاده تأكيداً لطول الكلام بين معنى الذي هو مبتدأ وخبره أعني (أن تكثر السراري) وذلك ناشئ عن الاستيلاء على بلاد الكفار، فيكون الاستيلاء هو العلامة عليها كما تقدم (حتى تلد الأمة السرية) فعلية من السر، وهو الخفية لخفاء أمرها بالنسبة إلى الأزواج (بنتاً لسيدها وبنت السيد في معنى السيد وقيل غير ذلك) من ذلك أنه كناية عن عقوق الأولاد لأمهاتهم فيعاملونهم معاملة السيدة لأمتها من الإهانة، والسب، ويستأنس له برواية: «وأن تلد المرأة»، وبحديث: «لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غليظاً»، وقيل: إنه كناية عن كثرة بيع السراري، حتى يتزوج الإنسان أمه، وهو لا يدري، وهذا بناء على رواية بعلها أي: زوجها وقيل غير ذلك (والعالة) بتخفيف اللام. جمع عائل (الفقراء وقوله ملياً) بتشديد الياء (أي زمناً طويلاً وكان ذلك) الزمن كما جاء عند أبي داود، والترمذي، وغيرهما (ثلاثاً) ظاهره من الليلي. ويحتمل أن يكون من الأيام، وحذفت التاء لحذف المعدود فهو كحديث: «وأبعه ستاً من شوال» ويؤيده رواية ابن منده السابقة.

٦١ - (الثاني عن أبي ذر) بتشديد الراء (جندب) بضم الجيم وسكون النون وتثنية الدال المهملة وآخره موحدة (ابن جنادة) بكسر الجيم^(٢) وبالنون وإهمال الدال وقيل برير^(٣) بن جندب وقيل جندب بن عبد الله وقيل جندب بن السكن وعلى كل فهو غفاري، يجتمع مع النبي ﷺ في كنانة. روي عنه أنه قال: «أنا رابع الإسلام» ويقال: «خامس الإسلام» أسلم بمكة قديماً، وخبر إسلامه في صحيح مسلم، ثم رجع إلى قومه ثم هاجر إلى المدينة، ووصفه ﷺ في عدة أحاديث بأنه أصدق الناس لهجة، وهو أول من حيا النبي ﷺ بتحية

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل الكبرى ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه.

(٢) الذي في ابن حجر وكتب اللغة أنه بضم الجيم. ع.

(٣) بضم الباء وراء مكررة اهـ. شبراخيتي.

اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ

الإسلام، وقال علي في حقه: «وعاء مليء علماً ثم أوكىء عليه فلم يخرج منه شيء حتى قبض» روي له عن النبي ﷺ مائتا حديث وأحد وثمانون حديثاً. اتفقا منها على اثني عشر حديثاً، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بسبعة عشر. مات بالربذة سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين (وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل) الأنصاري أسلم وعمره ثمان عشرة سنة، وشهد العقبة، وبدرا، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. روي له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وسبعة وخمسون حديثاً، اتفقا على حديثين منها، وانفرد البخاري بحديثين^(١)، ومسلم بواحد. وورد أنه ﷺ قال: «أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل» وأنه قال: يا معاذ إني أحبك. فقال: وأنا أحبك والله يا رسول الله قال: «فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» وأنه قال: «يأتي معاذ يوم القيامة بين يدي العلماء برتوة» أي: رمية بسهم. وقيل بحجر. وقيل بميل. وقيل حد^(٢) البصر وفضائله كثيرة، وقد ذكرت جملة منها في ترجمته في شرح الأذكار مات بناحية الأردن في طاعون عمواس - بفتح أوليه، قرية بين الرملة والقدس. نسب إليها لأنه أول ما ظهر منها - سنة ثمان عشرة وهو ابن ثلاث وقيل أربع وقيل ثمان وثلاثين سنة، وقبره بغور بيسان في شرقه (رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ قال:) أي: لكل منهما: لأبي ذر لما أسلم، ولمعاذ لما انطلق إلى اليمن وقد جاء التصريح بذلك (اتق الله) أمر من التقوى، وهي امتثال أوامره تعالى، واجتناب نواهيه، وهذا على حد قوله تعالى: ﴿اتقوا الله﴾^(٣) أي: غضبه، وهو أعظم، ما يتقى، لما ينشأ عنه من العقاب الدنيوي والأخروي: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾^(٤) (حيثما كنت) أي: في أي مكان كنت حيث يراك الناس، وحيث لا يرونك، اكتفاء بنظره تعالى قال تعالى: ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾^(٥) ومن ثم قال ﷺ لأبي ذر: «أوصيك بتقوى الله في سرائرك وعلانيتك» وهذا من جوامع كلمه ﷺ؛ فإن التقوى وإن قل لفظها، جامعة لحقوقه تعالى، إذ هي اجتناب كل منهي عنه، وفعل كل مأمور به، فمن فعل ذلك فهو من المتقين الذين شرفهم الله تعالى في كتابه بأنواع من الكمالات يأتي ذكرها أول باب التقوى إن شاء الله تعالى (وأتابع السيئة الحنة تمحها) وجه مناسبتها لما قبلها، أن العبد مأمور بالتقوى في كل حال، ولما كان ربما يفرط، إما بترك بعض المأمورات، أو فعل بعض المنهيات،

(١) الذي في ابن حجر: وانفرد البخاري بثلاثة. ش.

(٢) الذي في ابن حجر: وقيل بمد البصر. ش.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٥) سورة النساء، الآية: ١.

تَمُّحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقِي حَسَنٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ^(١).

وذلك لا ينافي وصف التقوى كما دل عليه نظم سياق: ﴿أعدت للمتقين﴾^(٢) إلى أن قال في وصفهم: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾^(٣) الخ أمره بما يحو به ما فرط فيه، وهذا الحديث على حد: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾^(٤) وظاهر قوله «تمحها» وقوله تعالى: ﴿يذهبن السيئات﴾ أن الحسنات تمحو السيئة من الصحف، وقيل: عبر به عن ترك المؤاخذة بها فهي موجودة فيها بلا محو إلى يوم القيامة، وهذا تجوز يحتاج لدليل، وإن نقله القرطبي في تذكرته وقال بعض المفسرين: إنه الصحيح عند المحققين. ثم هذا في الصغائر المتعلقة بحق الله تعالى، أما الكبائر فلا يكفرها على الصحيح إلا التوبة بشروطها، وحيث يصح إدخالها في الحديث بأن يراد بالسيئة ما يعم الكبيرة، وبالْحَسَنَةُ ما يشمل التوبة منها، وأما التبعات فلا يكفرها إلا إرضاء أصحابها (وخالق الناس بخلق حسن) جماعه ينحصر كما ذكر عن الترمذي، وغيره في طلاقة الوجه لهم وكف الأذى عنهم، وبذل المعروف إليهم. وقال بعضهم: هو أن تفعل معهم ما تحب أن يفعلوه معك، فتجتمع القلوب، ويتفق السر والعلانية، وحيث يأمن كيد الكائد، وذلك جماع الخير وملاك الأمر. وقد جاءت أحاديث كثيرة في مدح الخلق الحسن، وسيأتي بعضها (رواه الترمذي وقال حديث حسن) زاد المصنف في الأربعين: وفي بعض النسخ يعني نسخ الجامع: حسن صحيح. وأشار بهذا إلى اختلاف نسخ الترمذي في التحسين والتصحيح. فقد يوجد عقب حديث في بعضها حسن وفي بعضها صحيح وفي أخرى حسن صحيح، وفي أخرى حسن غريب، وسبب ذلك اختلاف الرواة عنه والضابطين لكتابه. ثم تحينه لهذا الحديث مقدم على ترجيح الدارقطني إرساله للقاعدة المقررة: إن المسند لزيادة علمه يقدم على المرسل، وإما تصحيحه في تلك النسخة فيوافق قول الحاكم إنه على شرط الشيخين، لكن وهم بأن ميموناً أحد رواته لم يخرج له البخاري شيئاً، ولم يصح سماعه من أحد من الصحابة، فلم يوجد فيه شرط البخاري، فحكمه بأنه على شرط الشيخين من تساهله المعروف. قال السخاوي ودونه حكم العراقي عليه في أماليه بالصحة. ويؤيد تحسين الترمذي له، أنه ورد لهذا الحديث طرق متعددة، فرواه أحمد، والبزار، والطبراني، والحاكم، والبيهقي وابن

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في معاشرته الناس (الحديث: ١٩٨٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٤) سورة هود، الآية: ١١٤.

٦٢ - الثَّالِثُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ! إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ:

عبد البر، وغيرهم من طرق يفيد مجموعها الحسن له ففي الجامع الصغير للسيوطي أن الحديث رواه أحمد، والترمذي، والحاكم، والبيهقي عن أبي ذر، وأحمد، والترمذي والبيهقي عن معاذ بن جبل، وابن عساکر عن أنس. وذكر السخاوي في تخريج أحاديث الأربعين أن الأصح كون الحديث من مسند أبي ذر وإلى ذلك أشار البيهقي ثم بسط في بيان ذلك.

٦٢ - (الثالث عن) عبد الله (بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ) أي: على دابته، كما جاء في رواية، ففيه جواز الإرداف على الدابة إن أطاقت. وقد تبعت الذين أردفهم النبي ﷺ معه على دابته فبلغت بهم فوق الأربعين، وجمعتهم في جزء سميته تحفة الأشراف بمعرفة الأرداف. وقد نظمت اسم جماعة منهم وأوردته آخر ذلك الجزء وها هو:

لقد أردف المختار طه جماعة	فمن لنا الإرداف إن طاق مركب
أبو بكر عثمان علي أسامة	سهيل سويد جبرئيل المقرب
صفية والبطان ثم ابن جعفر	معاذ وقيس والشريد المهذب
وأمنة مع خولة وابن أكوخ	وزيد أبو ذر سما ذاك جنذب
معاوية زيد وخوات ثابت	كذلك أبو الدرداء في العدي كتب
وأبناء عبس وابن أسامة	صدي بن عجلان حذيفة صاحب
كذلك جافهم أبو هر من روى	ألوفاً من الأخبار تروى وتكتب
وعد من الأرداف يا ذا أسامة	هو ابن عمير ثم عقبه يحب
وأردف غلماناً ثلاثاً كذا أبو	إياس وأنثى من غفار تقرب
وأردف شخصاً ثم أردف ثانياً	وما سميا فيما روى يا مهذب
أولئك أقوام بقرب نبيهم	لقد شرفوا طوبى لهم يا مقرب

(يوماً) أي: في ساعة منه كما يدل عليه تنكيره (فقال: يا غلام) بضم الميم لأنه نكرة مقصودة، وتقدم أنه هو الصبي من حين يفطم إلى البلوغ، وسنه إذ ذاك كان نحو عشرين (إني أعلمك كلمات) يفعلك الله بهن كما في رواية أخرى. وذكره ذلك لينبه السامع، فيشدد شوقه، ويلقي سمعه، فيقع في نفسه فيكمل نفعه. وجاء بها بصيغة القلة، ليؤذنه بأنها قليلة اللفظ فيهل حفظها، ومنونة إيداناً بعظم خطرها ورفعها حملها، وتأهيله لهذه الوصايا الرفيعة

أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ

المقدار الجامعة من العلوم والمعارف ما يفوق الحصر، دليل على أنه ﷺ علم ما يؤول إليه أمر ابن عباس من العلم والمعرفة، وكمال الأخلاق، وحسن الأحوال (احفظ الله) بملازمة تقواه، واجتناب نواهيه، وما لا يرضاه (يحفظك) بالجزم، في نفسك، وأهلك، ودينك، ودينك، لا سيما عند الموت: إذ الجزاء من جنس العمل ومنه: ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾^(١) وهذا من جوامع كلمه ﷺ فقد جمعت سائر أحكام الشريعة قليلها، وكثيرها (احفظ الله) بما ذكر (تجده تجاهك) أي: تجده معك، بالحفظ والإحاطة، والتأييد والإعانة. حيثما كنت فتأنس به وتغنى به عن خلقه، فهو كالتأكيد لما قبله، وهو من المجاز البليغ لاستحالة الجهة التي هي مدلول «تجاه» عليه تعالى. وتجاه بضم التاء وأصله وجاه بضم الواو وكسرهما، فأبدلت فوقية كما في ترات ومعناه أمام، كما جاء ذلك في الرواية الآتية، أي: تجده معك بالحفظ فهو نظير: ﴿أن الله مع المتقين﴾^(٢) ونحوه: إذ هي معية معنوية، لا ظرفية، وخص الأمام من بين باقي الجهات الست بالذكر، إشعاراً بشرف المقصد، وبأن الإنسان مسافر إلى الآخرة، والمسافر إنما يطلب أمامه لا غير، فكان المعنى تجده حيثما توجهت وتيممت من أمر الدنيا والآخرة (إذا سألت) أي: أردت السؤال (فاسأل الله) أن يعطيك مطلوبك قال تعالى: ﴿وسئلو الله من فضله﴾^(٣) ولا تسأل غيره، فإن خزائن الوجود بيده تعالى وأزمتها إليه إذ لا قادر ولا معطي ولا متفضل غيره، فهو أحق أن يقصد ويسأل، ولا فائدة في سؤال الخلق، إذ لا يملكون نفعاً ولا ضرراً لأنفسهم فضلاً عن غيرهم، وما أحسن قول الأستاذ أبي الحسن الشاذلي: «أيست من نفع نفسي لنفسي، فكيف لا أيس من نفع غيري بنفسي، ورجوت الله لغيري، فكيف لا أرجوه لنفسي» وإنما يميل القلب إلى المخلوق، ويركن إليه، لضعف يقينه ووقوعه في الغفلة عن حقائق الأشياء، ويقدر بعده من مولاه يكون ركونه لمن سواه، ولما نجا من تلك الهوة وتيقظ من تلك الغفلة أصحاب التوكل واليقين أعرضوا عن السوى، وأنزلوا جميع حوائجهم بباب كرم وجود المولى: لأنه المتكفل لكل متوكل بما يحب ويتمنى قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾^(٤) (وإذا استعنت) أي: طلبت الإعانة على أمر من أمور الدارين (فاستعن بالله) لأنه القادر على كل

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الطلاق، الآية: ٣.

لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ،

شيء، وغيره عاجز عن كل شيء، فمن أعانه تعالى فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول، ومن ثم كانت: «لا حول ولا قوة إلا بالله» كنزاً من كنوز الجنة، لتضمنها براءة النفس من حولها وقوتها إلى حوله وقوته، وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: «لا تتعن بغيره تعالى يكللك الله إليه» (واعلم أن الأمة) المراد بها هنا سائر المخلوقين، كما صرحت به رواية أحمد: «فلو أن الخلق جميعاً أرادوك إلخ» وأما مدلولها وضعاً؛ فالجماعة وأتباع الأنبياء، والرجل الجامع للخير المقتدي به، والدين والملة نحو: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾^(١) والزمان نحو: ﴿وادكر بعد أمة﴾^(٢) والرجل المنفرد بدينه الذي لم يشركه فيه أحد كقوله ﷺ: «بيعت زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده» فالأمة لفظ مشترك، ومن جملة معانيه الأم كهذه أمة زيد أي: أم زيد (لو اجتمعت) لو هنا بمعنى إن إذ المعنى على الاستقبال، ونكتة العدول أن اجتماعهم على الإمداد من المتحيلات، بخلاف اجتماعهم على الأذى فإنه ممكن (على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن) عبر بها بدل لو تفننا في التعبير (اجتمعوا على أن يضررك بشيء لم يضررك إلا بشيء قد كتبه الله عليك) كما يشهد له قوله تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾^(٣) والمعنى وحد الله في لحوق الضر والنفع، فهو الضار النافع ليس معه أحد في ذلك^(٤) لما تقرر أنه القادر لا سواه، فإزمة المخلوقات بيده يتصرف فيها بما يشاء، فهذا تقرير وتأکید لما قبله من توحيد الله تعالى في لحوق النفع والضر على أبلغ برهان وأوضح بيان، وحث على التوكل والاعتماد على الله سبحانه وتعالى في جميع الأمور، وعلى شهود أنه الفاعل المختار، النافع الضار، وغيره ليس له من ذلك شيء، وعلى الإعراض عما سواه. وفي بعض الكتب الإلهية: «وعزتي وجلالي لأقطعن أمل من يؤمل غيري، ولألبسنه ثوب المذلة عند الناس، ولأحجبه عن قربي، ولأبعدنه عن وصلي ولأجعلنه متفكراً حيران، يؤمل غيري في الشدائد، والشدائد بيدي، وأنا الحي القيوم، ويطرق بالفكر أبواب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب، وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني» (رفعت الأقلام) أي: تركت الكتابة بها لفرغ

(٣) سورة يونس، الآية: ١٠٧.

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.

(٤) عبارة ابن حجر: ليس لأحد معه في ذلك شيء ش.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤٥.

وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَفِي رِوَايَةٍ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ: «أَحْفَظَ اللَّهُ تَجِدُهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفُ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ،

الأمر وانبرامه (وجفت) بالجيم بالبناء للمفعول^(١) (الصحف) التي فيها تقادير الكائنات، كاللوح المحفوظ، أي: فرغ من الأمر، وجفت كتابته فلم يمكن أن يكتب فيها بعد ذلك تبديل، أو نسخ لما كتب من ذلك واستقر لأنها أمور ثابتة لا تبدل، ولا تغير عما هي عليه، فذلك كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها والفراغ منها من أمد بعيد، وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها، وقد دل الكتاب، والسنة على ذلك، فمن علم ذلك وشهده بعين بصيرته، هان عليه التوكل على خالقه والإعراض عما سواه (رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح) قال السخاوي في تخریج أحاديث الأربعين: حديث حسن. وبين ذلك ثم قال: وبالجملة فالحديث ثابت من حديث الليث، وغيره ممن قدمناه، ولذا أورده الضياء في المختارة من هذا الوجه بل صححه العراقي في أماليه تبعاً للترمذي. وقال ابن منده: إسناده مشهور ورواته ثقات اهـ. وقد أورده جماعة من طرق عن ابن عباس، وجاء أنه ﷺ وصاه بذلك، وعن علي وأبي سعيد رواه العسكري في كتاب الأمثال وسهل بن سعد رواه ابن مردويه، وعبد الله بن جعفر رواه ابن عاصم في السنة. وقد خرج طرقها كلها السخاوي وقال: قال أبو جعفر العقيلي: كل أسانيد هذا الحديث لينة وبعضها أصلح من بعض. وليس هذا بجيد، فحديث ابن عباس حسن جيد، وأصح طرقه رواية حنش كما صرح به ابن منده وغيره وهي التي أخرج الترمذي الحديث من طريقها (وفي رواية غير الترمذي) وهو عبد بن حميد في مسنده لكن بإسناد ضعيف وقد رواه أحمد بإسنادين مقطعين، ولفظه أتم من حديث عبد بن حميد، وقد أورده في شرح الأذكار (احفظ الله تجده أمامك تعرف) بتشديد الراء أي: تحجب (إلى الله في الرخاء) بالدأب في الطاعات. والإنفاق في وجوه القرب والمثوبات، حتى تكون متصفاً عنده بذلك معروفاً به (يعرفك في الشدة) بتفريجها عنك، وجعله لك من كل ضيق فرجاً ومن كل هم مخرجاً بواسطة ما سلف منك من ذلك التصرف، وقيل إنه على حذف مضاف أي: تعرف إلى ملائكة الله في الرخاء بالتزام طاعته تعالى، والتزام عبوديته يعرفك في الشدة بواسطة شفاعتهم عنده في تفريج كربك وغمك، وتعقب بأنه تكلف. فالأول أولى. ومعرفة العبد ربه ضربان: عامة وهي الإقرار بوحدانيته وربوبيته والإيمان به، وخاصة وهي الانقطاع إليه والأنس به، والطمأنينة بذكره والحياء منه، وشهوده في

(١) عبارة الشبراخيتي: وجفت بالجيم أي يس اهـ، وفي المختار وغيره: جف الثوب بفتح الجيم. ع

وَاعْلَمَ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمَ أَنَّ النَّصْرَ

كل حال، ومعرفة الله تعالى كذلك عامة، وهي علمه بعباده واطلاعه على أعمالهم، وخاصة وهي محبته لعبده، وتقريبه إليه، وإجابة دعائه وانجاؤه من الشدائد فلا يظفر بهذه الخاصة إلا من تحلى بتلك الخاصة (واعلم أن ما أخطأك) من المقادير فلم يصل إليك (لم يكن) مقدراً عليك (ليصيبك) أي: محال أن يصيبك، لأنه بان بأنه أخطأك أنه مقدر على غيرك، وفيه مبالغة من وجوه من حيث دخول اللام المؤكدة للنفي على الخبر وتسلط النفي على الكينونة وسرايته في الخبر (وما أصابك) منها (لم يكن) مقدر على غيرك (ليخطئك) وإنما هو مقدر عليك إذ لا يصيب الإنسان إلا ما قدر عليه. ومعنى ذلك أنه فرغ مما أصابك وأخطأك من خير أو شر فما إصابته لك محتومة لا يمكن أن يخطئك، وما أخطأك فسلامتك منه محتومة. فلا يمكن أن يصيبك؛ لأنها سهام صائبة وجهت من الأزل، فلا بد أن تقع مواقعها، وما أحسن ما قيل:

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون
فلم يبق سوى التوكل على الله سبحانه، والسكون تحت جري المقادير وما أحسن ما قيل:

ولما رأيت القضاء جارياً بلا شك فيه ولا مرية
توكلت حقاً على خالقي وأسلمت نفي مع الجرية

ففي الحديث تقرير وحض على تفويض الأمور كلها إلى الله تبارك وتعالى مع شهود أنه الفاعل لما يشاء وأن ما قضاه وأبرمه لا يمكن أن يتعدى حده المقدر له وهذا راجع إلى قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾^(١) ثم مدار هذه الوصية على هذا الأصل، إذ ما قبله وما بعده مفرع عليه وراجع إليه: فإن من علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب له وإن اجتهد الخلق كلهم بخلاف المقدور لا يفيد شيئاً البتة على أن الله وحده هو الضار النافع فأفرده بالطاعة، وحفظ حدوده، وخافه ورجاه، وأحبه وأفرده بالاستعانة والسؤال له، والتضرع إليه والرضا بقضائه في حالة الشدة والرخاء (واعلم) تنبيه على أن شأن هذه الدار لا سيما مع الصالحين الأخيار، كثرة الأعراض والأنصاب، فينبغي الصبر للظفر بجزيل الثواب والرضا بالقضاء والقدر (أن النصر) من الله

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٢.

مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا^(١).

للعبد على جميع أعداء دينه ودينه كائن (مع الصبر) على طاعة الله وعن معصيته، وقيل: الصبر على نكايتهم، وعدم الانتصار منهم لنفسه (وأن الفرج) وهو كما في الصحاح: الخروج من الغم اهـ. حاصل سريعاً (مع الكرب) هو الغم الذي يأخذ بالنفس فلا دوام للكرب وحينئذ، فيبغي لمن نزل به ذلك، أن يكون صابراً محتباً راجياً سرعة الفرج مما نزل به، حسن الظن بمولاه في جميع أموره، فإنه أرحم به من كل راحم، إذ هو أرحم الراحمين، (وأن مع العسر يسرا) كما نطق به قوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ * إن مع العسر يسراً^(٢) ومن ثم ورد عنه عليه السلام: «لن يغلب عسر يسرين» أي: لأن النكرة إذا كررت كانت الثانية غير الأولى، والمعرفة إذا أعيدت كانت الثانية عين الأولى غالباً فيهما، وليست الآية من غير الغالب خلافاً لمن فهم ذلك فقال: وفي الآية عسران أيضاً؛ عسر الدنيا ومعها يسر، وعسر الآخرة ومعها يسر، ولا ينافي وقوع العسر لنا - كما صرحت به هذه الآية، عدم وجود وقوعه كما صرح به قوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾^(٣) لاختلاف المراد بالعسرين لأن المثبت هو العسر في العوارض الدنيوية التي تطرق العبد بما لا يلائم نفسه كضيق الأرزاق، ونحوها، والمنفي هو العسر بالكليف بالأحكام الشاقة كما قال تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾^(٤) ثم اليسر السهلة، ومنه اليسار، لأنه تسهل به الأمور، والعسر نقيضه، وفي الصحاح: كل ثلاثي أوله مضموم ووسطه ساكن فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه. وما تقرر في «مع» في محالها الثلاث من أنها على بابها، هو الظاهر، إذ أواخر أوقات الصبر، والكرب، والعسر هي أول أوقات النصر، والفرج، واليسر، فقد تحققت المقارنة بينهما، ومن لطائف اقتران الفرج بالكرب، واليسر بالعسر، أن الكرب إذا اشتد وتناهى أيس العبد من جميع المخلوقين وتعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل، وقد قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾^(٥) والحديث بطريقه أصل عظيم في مراقبة الله، ومراعاة حقوقه والتفويض لأمره، والتوكل عليه، وشهود توحيده، وتفرد، وعجز الخلائق كلهم وافتقارهم إليه.

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة القيامة، (باب: ٥٩) (الحديث: ٢٥١٦).

(٢) سورة الشرح، الآيات: ٥، ٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٤) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٥) سورة الطلاق، الآية: ٣.

٦٣ - الرَّابِعُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَقَالَ: «الْمُوبِقَاتُ»: الْمُهْلِكَاتُ^(١).

٦٤ - الْخَامِسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمَرْءَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَ«الْغَيْرَةُ» بَفَتْحِ الْغَيْنِ وَأَصْلُهَا: الْأَنْفَةُ^(٢).

٦٣ - (الرابع. عن أنس رضي الله عنه قال:) مخاطباً للمتساهلين في الأعمال (إنكم تعملون أعمالاً) تستهونونها لعدم نظركم إلى عظم المعصي بها (هي) لذلك (أدق في أعينكم من الشعر) استخفافاً بها (كنا نعدّها) لكمال الخشية الناشئة عن كمال المعرفة بالله، الحاصلة بحلول نظر النبي ﷺ (على عهد) زمن (رسول الله ﷺ من الموبقات) وهذا كما جاء في الخبر الآخر: «لا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى عظم من عصيت» وفي الخبر الآخر: «المؤمن يرى ذنبه كأنه صخرة يخاف أن تقع عليه والكافر يرى ذنبه كأنه ذباب يمر على أنفه» وفي الحديث كمال مراقبة القوم لله تعالى وكمال استحيائهم منه، حتى أنهم يرون تلك الأمور التي استهون غيرهم الوقوع فيها، مهلكات لهم، لعظم شهودهم جلال الله تعالى وعظمتهم. أحيا الله قلوبنا من موت الغفلة بمنتها (رواه البخاري، وقال:) أي: البخاري (الموبقات) بضم الميم (المهلكات) وفيه أن الإنسان ينبغي له أن يحذر من صغار الذنوب فلعلها تكون المهلكة له في دينه كما يحترز من يسير السموم، خشية أن يكون فيها حتفه.

٦٤ - (الخامس: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الله تعالى يغار، وغيره الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه) أي: منعه أن يأتي ذلك (متفق عليه) ورواه أحمد، والترمذي كلهم بزيادة: «والمؤمن يغار» ورواه بإسقاطها البخاري (والغيرة بفتح الغين) المعجمة وسكون التحتية، بعدها راء مهملة (وأصلها) في وضع اللغة (الأنفة) بفتح أوليه أي: الامتناع من الضيم ونحوه، وفي شرح مسلم «أصلها المنع» والرجل غيور على أهله، يمنعهم من التعلق بأجنبي بنظر أو غيره، ومعنى غيره الله تعالى، منعه الناس من الفواحش

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: ما يتقى من محقرات الذنوب (٢٨٣/١١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح (٢٨٢/٩) باب الغيرة.

وأخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب: غيرة الله تعالى. وتحريم الفواحش (الحديث: ٣٦).

٦٥ - السَّادِسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أُبْرَصَ، وَأَقْرَعٌ، وَأَعْمَى، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَيْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأُبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْ نَحَسَنُ وَجِلْدَ حَسَنٍ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدَّ قَدْرَنِي النَّاسُ. فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَدْرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا

أي: وسائر المحرمات كما في حديث الباب لكن الغيرة في حق الناس يقارنها تغيير حال الإنسان وانزعاجه، وهذا مستحيل في حق الله تعالى اهـ.

٦٥ - (السادس: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع) كلام (النبي ﷺ يقول:) تقدم أن جملة يقول بدل اشتغال من مفعول سمع، أو جملة حالية من المفعول المحذوف الذي قدرته، وأتى به مضارعاً بعد سمع الماضي، إما حكاية لحال وقت السماع، أو لإحضار ذلك في ذهن السامع (إن ثلاثة من بني إسرائيل) أي: أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم (أبرص) أي: به وضع، وهو بالنصب بدل من ثلاثة، وخبر إن محذوف، أي: أقص عليكم شأنهم، ولوروي بالرفع لكان على القطع، والفاء في فأراد الله لتعقيب المفسر للمجمل، ويصح عند من جوز دخول الفاء في خبر إن أن يكون الخبر الجملة بعدها وكذا على حذفها كما في نسخة (وأقرع) أي: من ذهب شعر رأسه من آفة (وأعمى) العمى عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيراً (فأراد الله أن يتليهم)^(١) أي: يعاملهم معاملة المتبلى، المختر، وإلا فعلمه أزلي شامل للموجود وللمعدوم قبل وجوده (فبعث) أرسل (إليهم ملكاً) بفتح اللام في صورة إنسان (فأتى) الملك (الأبرص) بدأ به، ثم بالأقرع اهتماماً بالتجبل عليهما، وتعجيلاً للانتقام منهما، وقدم الأبرص لأن داءه أقيح وأشنع ولونه أعظم (فقال:) له (أي شيء أحب إليك قال: لون حسن) بالتوين على الوصف (و) كذا (جلد حسن) لم يقتصر على طلب اللون الحسن؛ لأن جلد البرص يحصل له من التقلص، والتشنج، والخشونة، ما يزيد به قبح صاحبه وعاره، فلم يكف طلب حسن اللون عن طلب حسن الجلد (ويذهب) عطف على ما قبله بتقدير أن (عني) الداء (الذي قد قدرني) بكسر الذال أي: تباعد عني وكرهني (الناس) أي: بسببه، والعائد محذوف أي: به، قال الكرمانى وفي نسخة «قدروني» على لغة أكلوني البراغيث (قال:) ﷺ (فمسحه) الملك، أي: أمر يده عليه (فذهب عنه قدره) أي: سبب قدره، وهو البرص الذي كان به (وأعطي لونا حسناً وجلداً حسناً، قال) الملك له (فأي المال) معروف وتصغيره مويل،

(١) في بعض نسخ مسلم (يبليهم) بإسقاط المثناة فوق ومعناها الاختبار اهـ. شرح مسلم.

وَجِدْداً حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقْرُ، (شَكَ الرَّاوي) فَأَعْطِي نَاقَةَ عُشْرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدَرَنِي النَّاسُ. فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأَعْطِي شَعْرًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقْرُ، فَأَعْطِي بَقْرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا. فَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ

والعامة تقول مويل بتشديد الياء كذا في الصحاح (أحب إليك قال الإبل) بكسرتين وتسكن الموحدة تخفيفاً أي: الجمال، اسم يقع على الواحد والجمع، وليس بجمع ولا اسم جمع كذا قال ابن سيدة، وقال الجوهري: ليس لها واحد من لفظها، وهي مؤنثة؛ لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم، وإذا صغرتها، أدخلتها التاء فقلت: أبيلة وغنيمة ونحو ذلك (أو قال البقر. شك الراوي) اسمه إسحاق بن عبد الله، أي: شك هل سمع الإبل، أو البقر، والمرجح الإبل لكونه اقتصر عليها في قوله: «فأعطي ناقة عشراء» ويؤيده الاقتصار في الأقرع على البقر لا غير، فتعين الإبل للأبرص. كذا قيل، لكن في رواية للبخاري في أبواب بني إسرائيل، هو شك في ذلك أن الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل وقال الآخر: البقر اهـ. وبها يعلم أن الاقتصار في الأقرع على البقر من الراوي، وإلا فالشك فيه كما قبله، ويؤيد أنها الإبل أيضاً سؤال الملك له بعيراً، وهذا كله بعد الشك (قال فأعطي) بالبناء للمفعول (ناقة عشراء فقال: بارك الله) أي: أوقع (لك) البركة، وهو يحتمل أن يكون دعاء منه له بذلك، وأن يكون إخباراً به (فيها) أي: في هذه الناقة (قال: فأتى الأقرع) أي: عقب تمام ما يتعلق بالأبرص كما تشعر به الفاء (فقال: أي شيء أحب إليك فقال: شعر حسن) بالتنوين على الوصف (ويذهب عني هذا) الداء أي: القرع (الذي قد قدرني الناس) أي: بسببه (قال: فمسحه) الملك، يحتمل أن يكون مسح محل الداء فقط وهو الأقرب، وأن يكون مسح جميع بدنه لتعمه بركته (فذهب عنه) القرع (وأعطي شعراً حسناً قال:) الملك له (فأى المال أحب إليك) أي: من جميع الأموال، أي: أيها تحب أن يكون لك منها (قال: البقر) اسم جنس يقال على الذكر والأنثى وإنما دخلته الهاء للفرق بين الوحدة والجمع، والباقر جماعة البقر مع رعاتها، وأهل اليمن يسمون البقرة باقورا (فأعطي بقرة حاملاً) لم يقل حاملة لاختصاص هذا الوصف بالمؤنث كحائض، وطالق، وإنما يحتاج إليها للفرق في نحو قائم، وقائمة (وقال: بارك الله لك فيها) أي: في هذه البقرة (قال: فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك قال: أن يرد الله إليّ

أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي، فَأُبْصِرَ النَّاسَ. فَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِي شَاةً وَالِدًا. أَنْتَجَّ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَاِدٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَاِدٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَاِدٍ مِنَ الْغَنَمِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مُسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ

بصري) أي: القوة المودعة في العينين التي بها تدرك المبصرات (فأبصر) بضم الهمزة (به) (الناس) أي: أراهم ببصري أي: بعيني رأسي (قال: فسح) أي: أمر يده على عينيه، ويحتمل على جميع بدنه، والأول أقرب. كما تقدم في نظيره (فرد الله إليه بصره) أي: القوة المدركة المذكورة (قال: فأبي المال أحب إليك قال الغنم) أي: أحبه إلي، فهو مبتدأ محذوف الخبر، أو الأحب إلي الغنم فيكون خبر مبتدأ محذوف. وفي الصحاح: الغنم اسم مؤنث موضوع للجنس، يقع على الذكور والإناث، وإذا صغرتها ألحقها التاء فقلت: غنيمة لأن أسماء الجموع إلى آخر ما تقدم^(١) يقال خصس من الغنم ذكور، فيؤنث العدد، وإن عنيت الكباش لأن العدد يجري في تذكيره وتأنيثه على اللفظ لا على المعنى، والإبل كالغنم في جميع ما ذكرناه كذا نقله عنه اللميري في حياة الحيوان (فأعطي) بالبناء للمجهول (شاة) المفعول الثاني لأعطي، ومفعوله الأول نائب الفعل المضمر في الفاعل (والدأ) أي: ذات ولد وقيل حاملاً، وفي جامع الأصول: هي التي قد عرف منها كثرة الولد والنتاج (فأنتج هذان) سيأتي إنه بالبناء للفاعل لكن في الصحاح: للعرب أحرف لا يتكلمون بها إلا على سبيل المفعول، وإن كان بمعني الفاعل مثل قولهم: زهي الرجل. وعني بالأمر، ونتجت الناقة والشاة، وأشباهاها هـ. والمشار إليهما صاحباً الإبل، والبقرة (وولد) بتشديد اللام (هذا) أي: صاحب الغنم (فكان لهذا واد) أي: ملؤه (من الإبل ولهذا واد من البقر) من عطف معمولين على معمولي عامل واحد، وهو جائز اتفاقاً، وقوله من الإبل في محل الصفة لواد، ويجوز أن يكون حالاً، لتخصيصه بتقدم الخبر (ولهذا واد من الغنم. قال: ثم إنه) أي: الملك (أتى الأبرص) متصوراً (في صورته) أي: التي كان عليها (وهيئته) من رذالة الملابس، وقيل الضمير في صورته وهيئته، يرجعان للملك أي: جاءه بعد أن صار معافى غنياً في الصورة التي قد جاءه فيها، وهو بضد ذلك فدعا له فذهب عنه (فقال: رجل مسكين) بكسر الميم من المسكنة الحاجة. خبر مبتدأ محذوف أي: أنا رجل محتاج (قد انقطعت بي) الباء للتعدية (الجبال) الرواية المشهورة بالمهملة والموحدة كما سيأتي في الأصل واحده

(١) أي عقب قول المصنف (قال الإبل). ع.

فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ
وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبْلُغُ بِهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ: الْحَقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ:
كَأَنِّي أَعْرِفُكَ،

حبل، وهو المستطيل من الرمل وقيل: الأسباب في طلب الرزق، قال القرطبي: وهذا أوقع
التفسيرين وفي رواية لمسلم «الحيال» بالتحية من الحيلة ومن رواه بالجيم والموحدة كعض
رواة البخاري ففيه بعد، بل قال بعضهم: إنه قد صحف (في سفري) ظرف لغو متعلق
بانقطعت، أو ظرف مستقر حال من الضمير المجرور (فلا بلاغ لي) البلاغ ما يتبلغ ويتوصل
به إلى الشيء المطلوب، أي: لا وصول لي لما أريده (اليوم إلا بالله) أي: إيجاده وتيسيره
(ثم بك) لكونك مظهراً للخير، يجري على يديك، وثم هي هنا للترتيب في النزول، ولم
يقل وبك دفعا لإيهام التشريك، ولذا كان الإتيان بـثم هو الأدب المتأكد كما يأتي، وهذا^(١)
من الملك من المعارض التي يقصد بها التوصل إلى إفهام المقصود من غير أن يراد
حقيقتها، كما في قول إبراهيم صلى الله على نبينا وعليه وسلم: هذا ربي، وهذه أختي،
(أسألك) أي: أقسم عليك مستعظفاً (ب) الله (الذي أعطاك اللون^(٢)) الحسن والجلد
الحسن) بفتح المهمتين أي: بعد الابتلاء في اللون والجلد (والمال) أي: بعد الابتلاء
بالفقر (بعيراً) هو اسم يقع على الذكر والأنثى، وهو من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس،
والجمل بمنزلة الرجل، والناقة بمنزلة المرأة، والقعود بمنزلة الفتى، والقلوص بمنزلة
الجارية، وإنما يقال له بعير إذا أجدع. والجمع أبعرة وأباعر وبعران (أتبلغ) بتشديد اللام
أي: من البلغة وهي الكفاية (به) كذا رواية الكشمهيني في البخاري وعند غيره فيه «عليه»
أي: بعيراً أكتفي به أو حال كوني عليه (في سفري فقال): الأبرص (الحقوق كثيرة) أي:
عليّ فلا فاضل عن الحاجة لأعطيك إياه فانظر غيري (فقال): الملك (إنه) أي: الشأن
(كأنني) بتشديد النون (أعرفك) الظاهر أن كان فيه للتحقيق، وهو معنى أثبتته الكوفيون وذكره
ابن هشام في المغني، قال العلوي وهو التحقيق وأنشدوا عليه:

وأصبح بطن مكة مقشعراً كأن الأرض ليس بها هشام

أي: لأن الأرض، وقال ابن السيد في شرح شواهد الجمل: جرت عادة النحويين أن

(١) أي قوله: «رجل مكين» الخ.

(٢) في نسخة من عليك باللون الخ.

أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدِرُكَ النَّاسُ، فَقِيْرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنِ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنَّ كُنْتُ كَاذِبًا فِي دَعْوَاكَ، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَيَّ

يجعلوا كأن للتشبيه، حيث وقعت، وليس ذلك بصحيح، إنما تكون تشبيهاً محضاً إذا وقع في الخبر اسم ممثل به اسمها ويكون الخبر أرفع من الاسم، أو أحط منه نحو كأن زيداً ملك، أو كأن عمرأ حمار، أما إذا كان خبرها فعلاً، أو ظرفاً، أو مجروراً أو صفة من صفات اسمها، فإنها يدخلها حينئذ معنى الظن والحسان نحو كأن زيداً قائم، أو في الدار، فلست تشبه زيداً بشيء ها هنا، وإنما تظن أنه قائم أو في الدار انتهى بلفظه، لكن الذي صححه ابن مالك، وأبو حيان، والرضي، وغيرهم، ما ذهب إليه الجمهور من أن التشبيه لا يفارقها وأن ما أوهم خلافه مؤول (ألم) استفهام تقرير (تكن أبرص تقدرك) بفتح الذال المعجمة أي: تكرهك (الناس) أي: فعافك الله (فقيراً) أي: محتاجاً (فأعطاك الله فقال: إنما ورثت) بتشديد الراء مبني للمفعول وبتخفيفها مبني للفاعل (هذا المال كابرأ عن كابر) أي: كبيراً عن كبير في العز، والشرف أي: ورثته عن أبي وجدي، وحاصله إنكار تلك الحال ودعوى أنه نشأ في تلك الأحوال، فهي غير متجددة عليه، وهذا من إنكار النعم، وكفر المنعم حملة عليه البخل وحق العبد ألا يزال لنعم مولاه شاكراً ولأحواله التي كان عليها وآل إليها ذاكراً، وفي الحوض المورود للشيخ عبد الوهاب الشعراني: أخذ علينا العهد إذا حصل لنا ضخامة، وقيام ناموس بين الناس، ألا ننسى صفتنا التي كنا عليها قبل من الثياب الخلقة، وخدمة الناس، وضيق المعيشة، ونحو ذلك، وذلك لنعرف الله بالنعم فإن من نسي حاله أيام صغره، قل شكره، وربما قال: نحن بحمد الله نشأنا في الضخامة أباً عن جد، ليوهم من لم يعرفه أن حاله لم يزل كذلك، وقد دخل شخص على معن بن زائدة فقال له:

أتذكر إذ قميصك جلد شاة وإذ نعلك من جلد البعير

فقال معن: أذكر والحمد لله رب العالمين. فقال:

فقد جل الذي أعطاك ملكاً وعلمك الجلوس على السرير

فقال: جل ربي وعز. فقال:

فجد لي يابن ناقصة بمال فإني قد عزمت على المسير

فأمر له بمال جزيل وشكر له تذكيره الحالة التي لعله نسيها هـ. وقال القرطبي: حمل هذا القائل بخله على نسيان منة الله تعالى وجحد نعمه وعلى الكذب، ثم أورثه ذلك سخطه

مَا كُنْتُ، وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ بِمِثْلِ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَصِيرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ، وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مَسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ، شَاءَ أَتَبْلُغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ اللَّهُ،

الدائم، وذلك بشؤم البخل، واعتبر بحال الأعمى، لما اعترف بشكر النعم، وسخت نفسه بما ثبتها الله عليه، وشكر فعله رضي عنه كما يأتي (فقال:) الملك (إن كنت كاذباً في دعواك) وأتى بيان الموضوعة للشك في الشرط مع أنه جازم به، مماشاة ومساجلة، أو أن إن فيه بمعنى إذ (فصيرك الله) بتشديد الياء التحتية (إلى ما كنت قال: وأتى الأقرع في صورته) التي يقدرها الناس (وهيئة) التي يحقرونها، لراثتها، وسقطت هذه المعطوفة عند صاحب المشكاة في روايته المعزوة للصحيحين، قال شارحها ابن حجر: لم يقل هنا: وهيئة اختصاراً، أو إشارة إلى شدة لؤم الأبرص وغباوته فإنه مع كونه أتى له في صورته، وهيئة التي أتاه عليها أولاً وحصل له منه ما حصل، من الشفاء، والغنى، أنكر معرفته، وتجاهل به، وتفأخر عليه بأنه، إنما جاءه المال من أبيه، فضم إلى كذبه قبائح تنبىء عن أنه انتهى في اللؤم والحق إلى غاية لم يصلها غيره (فقال له:) الملك (مثل ما قال لهذا) الأبرص (ورد) الأقرع (عليه مثل ما رد هذا) الأبرص (فقال:) الملك (إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت) عليه من القرع، والفقر (قال: وأتى الأعمى) مثكلاً (في صورته) أي: في صورة آدمي أعمى (وهيئة فقال:) الملك (رجل) أي: صورة إذ الملائكة لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة (مسكين وابن سبيل) أي: مسافر سمي به لملازمته السبيل، كما سمي القاطع ابن الطريق، ويحتمل أنه أراد أنه ضيف. وسمي به لأن السبيل تظهر به (انقطعت بي الجبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك) أي: القوة الباصرة المدرك بها المبصرات (شاة أتبلغ بها في سفري فقال:) ذلك الرجل متذكراً نعم الله تعالى عليه، وحسن حاله بعد بؤسه (قد كنت أعمى فرد الله إلي) بتشديد الياء، وفي نسخة علي (بصرى فخذ ما شئت) أي: من المال (ودع ما شئت) منه (فوالله لا أجهدك) بفتح الهاء وهذه رواية مسلم (اليوم بشيء) أي: في رد شيء (أخذته الله) علة لعدم الإجهاد أي: لا أشق عليك لله، أو للأخذ، وشتان ما بين هذا، وقول ذينك «الحقوق - أي: الموانع من

فَقَالَ: أَمِكَ مَالِكَ، فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبِيكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. و«النَّاقَةُ الْعُشْرَاءُ» بِضَمِّ الْعَيْنِ وَفَتْحِ الشَّيْنِ وَبِالْمَدِّ هِيَ: الْحَامِلُ. قَوْلُهُ: «أَنْتَجَ» وَفِي رِوَايَةٍ: «فَتَّجَ» مَعْنَاهُ: تَوَلَّى نِتَاجَهَا. وَالنَّاتِجُ لِلنَّاقَةِ كَالْقَابِلَةِ لِلْمَرْأَةِ. وَقَوْلُهُ: «وَلَدَ هَذَا» هُوَ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ: أَي تَوَلَّى وَوَلَدَتْهَا، وَهُوَ بِمَعْنَى أَنْتَجَ فِي النَّاقَةِ. فَالْمَوْلُودُ وَالنَّاتِجُ وَالْقَابِلَةُ بِمَعْنَى لَكِنْ هَذَا لِلْحَيَوَانَ، وَذَلِكَ لِغَيْرِهِ. قَوْلُهُ: «انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ» هُوَ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ: أَي الْأَسْبَابُ. وَقَوْلُهُ: «لَا أَجْهَدُكَ» مَعْنَاهُ: لَا أَشُقُّ عَلَيْكَ فِي رَدِّ شَيْءٍ

الإعطاء - كثيرة فلا يمكن أن أعطيك شيئاً، وإن قل» (فقال: الملك) (أمسك مالك وإنما ابتليتكم) أي: امتحمت أي: عاملكم الله العالم بجميع الأمور، معاملة المبتلى، المختبر، ليرتب على عملكم أثره. إذ الجزاء إنما جعله الله مرتباً على ما يبدو في عالم الشهادة، لا على ما سبق في علمه (فقد رضي عنك وسخط) بالبناء للمجهول (على صاحبك) والرضا والسخط، المراد بهما في حقه تعالى، لازمهما مجازاً مرسلأً، إما عن إرادة الإثابة والتعذيب، فيكونان صفتي ذات، أو التعذيب والإثابة نفسيهما، فيكونان صفتي فعل (متفق عليه) وانفرد به الشيخان عن باقي أصحاب الكتب الستة (والناقة العشراء بضم العين) المهمله (وفتح الشين) المعجمة (وبالمد هي الحامل) كذا أطلقه، وهو قول، وقيل: الحامل التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر من يوم طرقتها الفحل، وهي من أنفس الإبل، وفي مختصر القاموس: العشراء من النوق التي مضى لحملها عشرة أشهر، أو ثمانية، وهي كالنساء من النساء، جمعه عشراوات وعشار اهـ. (قوله: انتج بالبناء للفاعل) هو شاذ قليل، لأنه لم يسمع من هذه المادة إلا نتج مبني للمفعول، والنتاج الأولاد، والنتج والإنتاج تولي الولادة (وفي رواية فتج) بالبناء للفاعل كذلك (ومعناه تولي نتاجها) الأقرب أن معناه ولد الإبل والبقر، ومعنى ولد الغنم، أي: صيرها والدة أي: منسوبة للولادة نحو فسقت الرجل، نسبته للفسق (والنتاج للناقة كالقابلة للمرأة). قوله: ولد هذا هو بتشديد اللام أي تولي ولادتها وهو بمعنى نتج في الناقة فالمولود والنتاج والقابلة بمعنى) وهي المتولية للولادة (لكن) في عرف الاستعمال (خص هذا) أي: الناتج (الحيوان) هو الإبل والبقر (وذاك) أي: المولود (لغيره) أي: الغنم، والقابلة لبني آدم (قوله: انقطعت بي الجبال، هو بالحاء المهمله والباء الموحدة أي: الأسباب، قوله: لا أجهدك بالجيم والهاء) وهي رواية مسلم (معناه: لا أشق عليك في رد شيء) فهو على حذف مضاف (تأخذه) بأن أنزعه منك (أو تطلبه من

تَأْخُذُهُ أَوْ تَطْلُبُهُ مِنْ مَالِي. وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: «لَا أَحْمَدُكَ» بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْمِيمِ. وَمَعْنَاهُ: لَا أَحْمَدُكَ بِتَرْكِ شَيْءٍ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، كَمَا قَالُوا: لَيْسَ عَلَيَّ طُولَ الْحَيَاةِ نَدَمٌ: أَيَّ عَلَى فَوَاتِ طُولِهَا^(١).

٦٦ - السَّابِعُ عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ

(مالي) بأن أمنعه قال القرطبي: قال صاحب الأفعال: جهده وأجهدته. بالغت في مشقته. وقيل: معنى أجهدك، لا أقل لك فيما تأخذه. والجهد ما يعيش به المقل ومنه ﴿والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾^(٢) (وفي رواية البخاري) وهي عند ابن ماهان كما قال القرطبي (لا أحمدك بالحاء) المهملة (والميم) وبلا النافية (ومعناه لا أحمدك بترك شيء تحتاج إليه) فهو على تقدير المضاف وذلك لطيب نفسي بما تأخذه (كما قال) أي: الشاعر (ليس على طول الحياة ندم أي: على فوات طولها) وقال الشاعر:

أتوب إليك يا مولاي مما علي به تواترت الذنوب
وأما عن هوى ليلى وتركى زيارتها فإني لا أتوب

أي: وعدم تركى زيارتها. قال الكرمانى في شرح البخاري: أو أنه من قولهم: فلان يتحمد أي: يمتن. يقال من أنفق ماله على نفسه فلا يتحمد به على الناس، قال وروي «لأحمدك» باللام فقط قبل المضارع من الحمد.

٦٦ - (السابع عن أبي يعلى) بفتح التحتية وسكون المهملة (شداد بن أوس) بفتح الشين المعجمة وتشديد الدال الأولى (رضي الله عنه) وأوس بفتح الهمزة وسكون الواو آخره سين مهملة ابن ثابت ابن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري، وهو ابن أخي حسان بن ثابت الجامع بين العلم، والعمل، والحلم. مات بفلسطين سنة ثمان وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين سنة وقال المصنف في التهذيب: مات ببيت المقدس، وقبره بظاهر باب الرحمة باق إلى الآن اهـ. روي له عن رسول الله ﷺ خمسون حديثاً أخرجا له حديثين، انفرد بأحدهما البخاري، وبالآخر مسلم (عن النبي ﷺ قال: الكيس) العاقل (من دان نفسه) أي: حاسبها ومنعها مستلذاتها وشهواتها التي فيها

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل (٦/٣٦٤، ٣٦٥).

وأخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. (الحديث: ١٠).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٩.

وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ «
رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ . قَالَ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ : مَعْنَى :
«دَانَ نَفْسَهُ» حَاسِبَهَا^(١) .

٦٧ - الثَّامِنُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ

هَلَكَ دِينَهَا (وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ) مِنَ الْقَبْرِ ، وَمَا بَعْدَهُ صَالِحَ الْعَمَلِ الْمُؤَنَسِ لَهُ فِي الْوَحْدَةِ
وَالْوَحْشَةِ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ :

بالله يا نفس اسمعي واعقلي مقالة قد قالها ناصح
لا ينفع الإنسان في قبره إلا التقى والعمل الصالح

(والعاجز) التارك لما يجب فعله بالتسوية (من أتبع) بإسكان الفوقية (نفسه هواها)
أي : جعلها تابعة لما تهواه ، مؤثرة لشهواتها ، معرضة عن صالح الأعمال ، لكونه على خلاف
ما تدعو إليه النفس (وتمنى على الله) الفوز في الآخرة ، فالحاصل أن الحزم الإتيان بواجب
العبودية ، من أداء الخدمة ، ومحاسبة النفس حذر مجاوزة الحدود وعدم الالتفات إلى ذلك ،
بالقلب ، والركون إليه ، بل يكون اعتماده مع ذلك على فضل مولاه سبحانه ، وأما ترك أداء
مقام العبودية ، فذلك من رعونات النفس الخفية لا سيما إن أوقعها في ميدان شهواتها الذي
فيه هلكها ، ومحققها (رواه الترمذي) وكذا رواه أحمد ، وابن ماجه ، والحاكم (وقال :
الترمذي (حديث حسن) ورواه البيهقي من حديث أنس . ذكره في الجامع الصغير (قال
الترمذي وغيره) من العلماء : (معنى دان نفسه حاسبها) حكاها في النهاية بقليل وفسره هو بقوله
أي : أذلها واستعبدها . والحساب من جملة معاني الدين ، ذكره في القاموس . وفي الكشف
في قوله تعالى : ﴿أَنَا لَمَدِينُونَ﴾^(٢) أو معناه^(٣) لموسون أي : مربوبون من الدين بمعنى
السياسة . ومنه حديث : الكيس من دان نفسه اهـ .

٦٧ - (الثامن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من حسن إسلام
المرء) من فيه تبعضية ، أو ابتدائية ، وتقديم الخبر لكون التركيب من قبيل : على التمرة مثلها

(١) أخرجه الترمذي في كتاب : صفة القيامة (باب : ٢٥) . (الحديث : ٢٤٥٩) .

(٢) سورة الصافات ، الآية : ٥٣ .

(٣) قوله : (أو معناه الخ) عطف على كلام سابق في الكشف .

حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنيهِ» حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ^(١).

زبدًا، وحسن الإسلام عبارة عن كماله، وهو أن تستقيم نفسه في الإذعان لأمر الله تعالى والاستسلام لأحكامه، وهو علامة شرح الصدر بنور الرب (تركه ما لا يعنيه) أي: ما لا يريد، ولا يحتاج إليه، ولا ضرورة إليه فيه، ولا ينفعه بكون عيشه بدونه ممكنًا، وذلك يشمل الأفعال الزائدة، والأقوال الفاضلة^(٢) فينبغي ألا يشتغل إلا بما فيه صلاحه معاشًا، ومعادًا بتحصيل ما لا بد منه في قوام البدن، وبقاء النوع الإنساني، ثم بالسعي في الكمالات العلمية والفضائل العلية، التي هي وسيلة لنيل السعادة الأبدية، والفوز بالنعم السمومية وأن يعرض عما عدا ذلك، وذلك إنما يكون بالمراقبة، ومعرفة أنه فيما يأتيه بمرأى ومسمع من الله سبحانه وتعالى وأنه لا يخفى عليه شيء من شأنه قال معروف: علامة مقت الله للعبد، أن تراه مشتغلًا بما لا يعنيه، فإن من اشتغل بما لا يعنيه فإنه ما يعنيه، وقال الغزالي: حد ما لا يعينك في الكلام أن تتكلم بما لو سكت عنه لم تأثم، ولم تتضرر حالًا، ولا مآلًا قال: فإن شغلت بما لا يعينك فإنك مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك، إذ تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، ولو صرفته في الذكر، والدعاء، ربما انفتح لك من نفحات الله ما يعظم جدواه ومن قدر على أن يأخذ كنزًا من كنوز الجنة وأخذ بدله بكرة، كان خاسرًا، وما أحسن ما قيل:

اغتنم ركعتين في ظلمة الليل ل إذا كنت فارغاً متريحا
وإذا ما هممت بالخوض في الباطن طل فاجعل مكانه تيجا

وقول الحافظ أبي إسماعيل البخاري كما عزاه إليه الحاكم في تاريخه:

اغتنم الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغيته
كم صحيح تراه من غير سقم ذهب نفسه الصحيحة فلته
وقلت في المعنى:

واغتنم في الحياة حسب اقتدار طاعة الله كي تفوز بقربه
لا تسوف إلى غد كم صحيح مات في الحال من تقلب قلبه

(حديث حسن رواه الترمذي وغيره) فرواه ابن ماجه، وابن حبان في صحيحه

(١) أخرجه الترمذي من كتاب: الزهد باب (١١) (الحديث: ٢٣١٧).

(٢) أي الصادرة فصولاً. ش.

٦٨ - النَّاسِيعُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيْمَ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ^(١) وَغَيْرُهُ.

٦ - باب: في التقوى

والقضاعي في مسند الشهاب، وعن أبي داود قال: أقمت بطرسوس، فاجتهدت في المسند، فإذا هو أربعة آلاف حديث، ثم نظرت فإذا مدارها على أربعة، وذكر هذا منها هـ.

٦٨ - (التاسع عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا يسأل) بالبناء للمجهول (الرجل فيم) بحذف ألف ما الاستفهامية لجرها بفي، أي: بأي سبب (ضرب امرأته) لاحتمال أن يكون السبب مما يستحيا من ذكره، كالاتناع من التمكين بل يترك ذلك إليه، وإلى مراقبته لمولاه إلا إن احتاج الأمر إلى جريان الأحكام، والرفع إلى الحكام فبين الأمور (رواه أبو داود وغيره) فرواه الإمام أحمد، والحديث صحيح كما صرح به ابن حجر الهيثمي في كتابه تنبيه الأخبار.

ولما كانت نتيجة مراقبة العبد لمولاه في سائر الأحوال وأنه بمراى منه لا يخفى عليه شيء، من شأنه امتثال الأوامر، واجتناب النواهي وذلك هو التقوى، عقبها بها فقال:

باب التقوى

أصلها «وقوى» بكسر أوله، وقد يفتح من الوقاية أبدلت تاء كتراث، وتخمة وهي ما يستر الرأس فهي اتخاذ وقاية تفيك مما تخافه وتحذره، فتقوى العبد لله أن يجعل بينه وبين ما يخشاه وقاية تقيه منه، وهي امتثال أوامره تعالى، واجتناب نواهيه، بفعل كل مأموره به، وترك كل منهي عنه حسب الطاقة، فمن فعل ذلك فهو من المتقين الذين شرفهم الله تعالى في كتابه، بالمدح والثناء: ﴿وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾^(٢) وبالحفظ من الأعداء: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضرركم كيدهم شيئاً﴾^(٣) وبالتأييد والنصرة: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محنون﴾^(٤) وبالنجاة من الشدائد والرزق من الحلال: ﴿ومن

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: النكاح، باب: في ضرب النساء. (الحديث: ٢١٤٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.